الثورة ليست ترفاً.. ولكن!!!

سامي عطا
alnwoirah3@gmail.com

إن جيل الشيوخ في هذا البلد كرس نظاماً شمولياً وأرسى دولة أمنية بامتياز, ناهيك عن ذلك, فإنه جيل الخصومة المستفحلة, وصار مثقلا بإرث التوجس والريبة بسبب طبيعة تكوين ثقافته السياسية, وكما هو معروف لكل فعل سياسي تداعيات. ولئن كانت الثورات الكلاسيكية ثورات نخب اعتمدت على سرية العمل والتخطيط من تحت الأرض أو بمفهوم هذا الزمان تأمرية الطابع سواءً ما عرف بثورات الضباط الأحرار في غير بلد عربي أو ثورات التحرر من الاحتلال, ولأن طبيعتها سرية؛ فإنها كرست في نفوس أفرادها الريبة والشك والتوجس, هذه النفسية الشاكة والريبية رافقت أصحابها لاحقاً, وعلى أثر هذا تحولت الإرادات التي كان ينبغي لها أن تكون رافعةً للبناء والمستقبل إلى إرادات معاقة نفسياً ووجدانياً, وتمثلت الإعاقة من جانبين , إعاقة متمثلة بسيادة الشك والريبة بين أفرادها , وإعاقة موت الضمير بسبب دموية معظم تلك الثورات, فمن يعيش أجواء العنف ويتعاطاه يتحول إلى آلة قتل, وهذه الأجواء تكون سبباً في موت ضمير الإنسان, وذلك من فرط العيش فيه وتكرار ممارسة هذه الأفعال. هكذا يعلمنا علم النفس السياسي, وهذه مزية أثقلت كاهل الثورات الكلاسيكية, ومن فرط أوضاع كهذه تكون لدينا جيل استفحلت خصومته ويمكن القول تكونت هوة بالغة يصعب ردمها, ويستحيل تعبيد الطريق إلى المستقبل عبر هذا الجيل, الحوار بين أفراده بات مستحيلا , فهناك جدار سميك من عدم الثقة ارتفع بفعل سلوك المداهنة والمراوغة وإضعاف الخصم وتحين الفرصة لاغتصابه, هذا السلوك أفرز انسداداً في أفق الحل عبر جيل الخصومة هذا. وعليه بدأ حل معادلة الصراع يتصدى لها جيل جديد أخذ زمام المبادرة متجاوزاً كل الفاعلين السياسيين في السلطة والمعارضة معاً.

وبالتأكيد ذهاب الناس إلى الثورة ليس ترفاً, بل تعبيرعن حاجة فرضها إنسداد الأفق , ويقيناً أن الثورة ليست وسيلة وحيدة للتغيير, لكنها تغدو مطلباً ضرورياً حينما تغيب الوسائل الأخرى. وأي ثورة حين ترفع شعارات تطالب برحيل أو تغيير رأس الهرم في السلطة وأعوانه وسقوط النظام برمته, فإن السقوط لا يعني الأفراد كأفراد, بل الأفراد بوصفهم تعبيراً عن رمزيّة, بوصفهم تعبيراً عن مكوّن ثقافي أو بتعبير أدق تدمير وإسقاط ثقافة حاضنة للفعل السياسي, بحيث تكون هناك سلطة ومعارضة جديدة تعبر عن تطلعاتهم وآمالهم, لكن ليس بالمعنى الفيزيقي .

ولأن نظام علي صالح الشمولي أفسد كل شيء في البلد بما فيها الملعب السياسي ولم تعد السياسة مضماراً صالحاً للسباق, وكفت السياسة أن تكون أداة إدارة المصالح السياسية المتعارضة وحل أزمات المجتمع, فإن ظهور الحراك الجنوبي جاء تعبيراً عن رفض الناس ويأسهم من العملية السياسية وأدواتها القائمة, ولقد كان الحراك الجنوبي تمرداً ورفضاً لحامل قضيتهم المفترض الحزب الاشتراكي اليمني, كما أن قراءة معاني الحراك جاء بوصفه محاولة خلق قيادات بديلة. فلقد ظل النظام يتغابى ويفسد العملية السياسية عبر اختزال الحل بالتسويات والترضيات الممهورة بتلبية مطالب فردية في المعارضة " شراء ذمم واستمالة أشخاص", وظل النظام يعتقد أن حل الأزمة لا يتطلب أكثر من لين المعارضة كأفراد والقبول بحلٍ يقوم على التسويات بين النخب السياسية سلطة ومعارضة, ومع كل تسوية ـ علماً بأنها تسويات لم تلامس مشكلات الناس ـ كانت المعارضة تبتعد رويداً رويداً عن جماهيرها, لا بل سلكت المعارضة أحياناً سلوك "القندس"(1) في الأسطورة, إذ وجدت نفسها تتبرأ من بعض الأفعال والاحتجاجات العفوية الصادرة عن الناس, ولنا في موقف المشترك من الثورة في بداية ثورة الشباب أسوة حسنة. ولم يك يدرك النظام أن سلوك إضعاف المعارضة هو إضعاف للنظام ذاته, وعدم تلبية الحد الأدنى من مصالح الناس عبر التسويات سيكون بمثابة الانتحار السياسي للمعارضة.

إن أزمة البلد الماثلة جاء نتاج فهم للسياسة باعتبارها ترادف الكذب والمخاتلة , حتى بات " الكذب في بلادنا ليس استثناء, ولكنه من فرط التكرار صار يشبه الحقيقة"(واسيني الأعرج)ولذلك بدلاً أن تكون السياسة علم إدارة شئون المجتمع عبر حوار المختلفين انسد أفق الحلو لازال هذا الانسداد قائماً وهو حصاد زرعه النظام عبر المراوغة والاستهتار بالفعل السياسي" والإقامة في الكذب"(أبوبكر السقاف), حيث أضحت المعارضة عاجزة لا بل خائنة ولا تستطيع أن تقنع الشارع الذي يأس من حوار لا يفضي إلى حلول للأزمات, وذهب الفاعلون السياسيون إلى تسويات زادت على أثرها مشكلات المجتمع تعقيداً, هذا الوضع يفسر أزمة العملية السياسية بين النظام والمعارضة الذي أفضى بدوره إلى خروج الشباب للبحث عن فعل خارج سياق العملية السياسية القائمة, وعليه اندلعت حركة الشباب, وهي كانت مشروع ثورة لولا المبادرة التي أجهضت فعلهم وأنقذت النظام القديم بسلطته ومعارضته وأعادتهم إلى واجهة الفعل السياسي, لكن ما لم يدركه هؤلاء أن جذر المسألة يكمن في الأدوات والثقافة القديمة, حيث يستحيل أن تفكك أزمة قائمة إلا بأدوات تجانسها, وعلينا أن ندرك أن ما جرى ويجري هو ترحيل للأزمة إلى حين.

إن هذا الجيل الجديد الذي يأس من أحزابه، خرج ليعلن على الملأ أنه جيل قادم بثورته ـ ثورة استخدم فيها كل تقنيات العصر كالفيس بوك ـ كي يكنس أصطبل " أوجياس"(2) من ركام الأوساخ والأدران، ومبشراً بالمستقبل الذي يريده، مستقبل خال من لغة الخصومة والإلغاء والإقصاء. إنه جيل يريد أن يعانق المستقبل, وهذه الثورة "المجهضة" استمدت أشعارها من المستقبل؛ حيث أدرك ثوارها أن ما من ثورة اجتماعية تأمل إحداث فرق "تغيير" إلا حينما تغادر الماضي وتستمد أشعارها من المستقبل, ولا تستطيع أن تبدأ بتنفيذ مهمتها قبل أن تقضي على كل احترام خرافي للماضي (ماركس الثامن عشر من برومير). وأكاد أجزم بأن هذا الأمر لا يتعلق باليمن وحده، بل ينسحب إلى كل قطر عربي شهد ويشهد هذا الحراك. إنه جيل قادم من رحم خيبات الأمل ونكسات وإخفاقات الجيل الذي يمسك بمفاعيل السياسة اليوم. لقد كان هذا الجيل شاهداً على عدد من المنعطفات التي شكلت تراجعا كان شديد الوطأة عليه، جيل تغذى كما وافراً من الشعارات ، فاكتشف في نهاية المطاف أنها شعارات ديماجوجية لا تصلح للاستخدام الآدمي، شعارات أفقرت روحه قبل جسده، لذا قرر الخروج أخيراً ليكسر جدار الصمت؛ فأخذ يقرع أجراس التغيير وقال بالفم الملآن: ولكنها تدور وينبغي لها أن تدور.

إن الديمقراطية ومفاعيلها الحوار والاحتكام إلى الصندوق والعملية الانتخابية إبداع إنساني بامتياز ـ حوّلها حكامنا إلى مهزلة بالغة السوء ـ, هذا الإبداع ينظم آليات تسليم السلطة عبر الإقناع والحجة, وإدارة الصراع بين الناس بحيث تحول دون لجوئهم إلى العنف. وعندما تفشل الديمقراطية عن تحقيق أهدافها تفضي إلى الاستبداد والطغيان. إن تداول السلطة مؤشر على فشل أو نجاح النخبة الممسكة بالسلطة, فعندما تفشل نخبة ما أن تقنع الناس بسياساتها تفقد السلطة, ونجاحها يعطيها إمكانية الاستمرار بحكمهم. كما أن الديمقراطية تجدد في طاقات وآليات الفعل السياسي . وإذا عقدنا مقارنة مع ما يطلق عليه ديمقراطية زوراً وبهتاناً في بلادنا العربية والديمقراطية في العالم المتحضر، يكفي أن ديمقراطية العالم المتحضر تحدث تغييراً على صعيد الأفراد الذين يتقلدون مقاليد الحكم، هذا التجديد الدائم يجدد الأمل بعد الإحباط، فالأمل ترياق تجديد دورة الحياة وبعث روح التفاؤل عند الناس. لذلك تجد مجتمعات التغير الدائم لا تعاني من الرتابة، وإن عانت منها فإنها تكون سحابة صيف سرعان ما تزول. هذا يفسر استمرار إبداع الأفراد وتفجر الطاقات فيه. أما أنظمتنا الاستبدادية الهرمة ظلت تزرع الكآبة وتصنع الرتابة, لذا هي تحصد الكراهية والغضب, وكلما طال بقاؤها زاد حجم ومستوى كراهية الناس وغضبهم. ويغدو زلزال اقتلاعهم هادراً ومدمراً. إن العناد والمقامرة قد يكبحان التغيير, لكنهما يراكمان الغضب والكراهية عند الناس الذي يدفع في نهاية المطاف إلى التغيير عبر الفاتورة المكلفة, ولسان حال الناس يقول: لكم أن تقاوموا وتعاندوا ولنا أن نراكم طوب كراهيتنا وغضبنا حتى أزوف الساعة.

إن ما يجري يعبر عن انسداد أفق وتكلس النخب الحاكمة، فلم تعد هذه النخب تلبي تطلعات الشباب.

إن أنظمتنا الاستبدادية، لم تكتف بخنق الحريات، بل ذهبت إلى اغتصاب لقمة العيش أيضاً من أفواه الناس حين جمعت بين السلطة واغتصاب الثروة واستخدمت الأولى للاستيلاء على الاقتصاد والاستئثار به واحتكاره.

تغريدة (1)

ـ إقناع الناس بشيء ما؛ لا يتم بالكلام, بل بالفعل. إن القول استمرار وتعاظم حصول نخبة ما على أغلبية, لا يستقيم مع فشل السياسات وتعاظم نقمة الناس وتزايد عدم رضاهم. كلما اتسعت نقمة الناس وعدم رضاهم في ظل نظام ديمقراطي, كلما أفضى إلى تغيير في شخوص وأدوات إدارة السلطة. خلاف ذلك يفضي إلى أزمة.

تغريدة (2).

ـ إن التغير عملية حتمية لا يمكن كبحها أو وقفها. يمكن إعاقتها لبعض الوقت، لكن عجلة التغيير تستأنف مسيرتها.

تغريدة (3)

ـ حركة الشعوب لا تقهر وتنتصر في نهاية المطاف.

ـ التغيير السلمي ممكن، لكنه قد يتأخر ويأخذ زمنه الكافي.

تغريدة (4)

ـ اللجوء إلى العنف من أجل التغيير ينم عن ضيق أفق واستعجال لقطف الثمار، كما أن ذلك يجعل التغيير محفوفاً بالمشكلات والأزمات وقد يقود التغيير إلى الانتكاس، وتجعله باهظ الثمن. لذا تحاول النظم الاستبدادية اختراق النشاط السلمي بعناصر يظهرون كرههم للاستبداد فيتطرفون في وسائلهم للحيلولة دون التغيير.

تغريدة (5)

ـ التغيير لا يمكن أن يحدث وفقاً للتمنيات، بل له شروط وظروف موضوعية وذاتية تأتي في وقتها.

تغريدة (6)

ـ إحداث تغيير مسألة حتمية المكابرة والعناد لا يحول دون حدوثه، لكنه يجعل التغيير تسونامي مدمر، أو كما قال الرئيس الأمريكي جون كينيدي " من يجعل الثورة السلمية مستحيلة, يجعل الثورة العنيفة حتمية."

هوامش

-1 تقول أسطورة القندس (القندس حيوان بري) إن قندساً تعب من ملاحقة صيادين له يريدون اصطياده من أجل خصيتيه حيث يعتقدون أن فيهما دواء لبعض الأمراض, وحتى يتخلص منهم اهتدى القندس إلى حيلة, فقطع خصيتيه حتى يسلم من ملاحقة الصيادين له.

-2 أصطبل أوجياس: أصطبل خيول تراكمت فيه الأوساخ ردحاً طويلاً من الزمن, ولم ينظف إلا عندما عاد هرقل بعد غياب طويل وهو كناية عن استفحال المشكلات وتراكمها.

يقظة القوى الوطنية ومعارك إنقاذ الوطن في السبعين

حول الأوضاع على ساحة اليمن عشية الحصار الذين عاشوا عقد الخمسينيات وشاركوا في حركة النضال الوطني يدركون مدى التحولات التاريخية لتلك الفترة التي مهدت لقيام الثورة اليمنية – سبتمبر وأكتوبر- وبقيامها يكون الشعب اليمني قد غادر حياة القرون الوسطى واندلف إلى بداية عهد انتقل به إلى حياة القرن العشرين، لقد تمكنت القوى الوطنية الثورية عبر مسيرة شاقة من النضال الوطني تجشمت خلالها ألواناً من التضحيات والمشاق والمعاناة، حتى تمكنت من تحرير شعب اليمن من أعتى نظام إمامي ملكي لم يجد سوى إنتاج الاستبداد والتخلف والعزلة، وأقامت نظاماً جمهورياً أساسه حرية الشعب في اختيار حكامه..وامتلاك قدرته وإرادته لشق طريق قهر التخلف والسير على طريق البناء والتقدم.

أحدث ذلك الانتقال بداية مرحلة قلبت الأوضاع رأساً على عقب ليس على ساحة اليمن فحسب بل وفي أنحاء الجزيرة العربية.

لقد تزامل قيام الثورة احتدام معارك وصراع بين قوى التحرير العربية بقيادة الزعيم جمال عبد الناصر وبين القوى المعادية لحركة التحرير والوحدة العربية، تمثلت بالرجعية العربية وقوى الاستعمار الغربي، وكانت اليمن واحدة من ساحات ذلك الصراع حيث وجدت الثورة اليمنية الدعم والمساندة من مصر عبدالناصر ومن البلدان المتحررة الأخرى، بينما وجدت جماعة من الملكيين لجأت "حينها"(1) إلى المملكة العربية السعودية كل وسائل الدعم مما خلق الأمل لدى أسرة بيت حميد الدين لاستعادة عرشهم الملكي البائد بينما وجدت المملكة السعودية بغيتها والمبرر لمناوأة الثورة اليمنية ونظامها الجمهوري.

والعمل على إسقاطها، إذا لم نطق وجود ثورة تحريرية تجاورها، كما وأن الإمبريالية الغربية وأمريكا خشيت على مصالحها البترولية في السعودية من امتداد النهج الثوري تجاه العرش السعودي والإطاحة به، ورأت بريطانيا أن وجود ثورة في الشمال يشكل خطورة على وجودها في الجنوب، لذا وجد الملكيين السلاح، والمال، والتدريب، وجندت الوسائل الإعلامية لصالح الملكيين، وبالإغراء والتضليل اتسعت صفوفهم وجعلوا من السعودية في شمال الشمال، والمناطق الجنوبية الواقعة تحت السيطرة البريطانية قواعد لشن المعارك، ضد الجمهورية اليمنية آنذاك، وبسبب ذلك العدوان الذي بدأ خلال الأسابيع الأولى من عمر الثورة اليمنية قدمت القيادة المصرية العون العسكري للثورة اليمنية لمواجهة العدوان الخارجي، وأعلن عبدالناصر وقوف مصر بكل ما تملكه من إمكانيات لمساندة شعب اليمن الذي ثار على أعتى حكم ملكي وحقق خلاصه من حياة القرون الوسطى والمضي لمغالبة التخلف وبناء وطنه.

كانت تقديرات القيادة المصرية أن مجرد وجود عدة فرق من قواتها العسكرية في اليمن سيحقق الهدف في مساندة القوات العسكرية اليمنية لصد العدوان وستتمكن من تدريب قوات عسكرية جديدة تشكل جيشاً قوياً، في ظل ما ورثه النظام الجديد من جيش قبلي تفرق بعد قيام الثورة بين عاد إلى موقعه القبلي ومن لحق بفلول الملكية، وانضم جزء يسير إلى الجمهورية، وبقي في إطار القوات المسلحة إلى جانب بضعة مئات من الجنود والضباط الذين تدربوا حديثاً، إلى جانب الالتفاف الشعبي وتطوع الآلاف من أبناء الشعب البسطاء في الحرس الوطني، غير أن تصاعد معارك حماية الجمهورية فرض على القيادة المصرية إرسال قوات عسكرية وصلت إلى ألوية كاملة بأسلحتها, إضافة إلى وحدات من السلاح الجوي، وعبر سنوات خمس لم تتوقف الحرب على ساحة اليمن، حرب مواجهة القوى الملكية، وحرب تحرير شعبية امتدت بانطلاقة ثورة 14أكتوبر تجاه جنوب اليمن من الاحتلال البريطاني وحكام الكنايات المحتمية به (2) وإلى جانب ذلك كانت الجماهير اليمنية وقيادة النظام الجمهوري تخوض معارك التحدي أهمها تأسيس وتطوير مؤسسات الحكم، في شتى المجالات وبناء البنية التحتية في مجال الصحة والتعليم، والطرقات والمواصلات والزراعة وغيرها، إلا أن حركة التغيير تلك خلقت مجموعة من العوامل أفسحت المجال لتنامي الصراع في الصف الجمهوري، لقد ظهرت على السطح قوى اجتماعية جديدة مما جعل الفئات التقليدية تخشى على مصالحها، إضافة إلى وجود العامل الخارجي المؤثر في السلطة السياسية، لقد أدت تلك العوامل إلى نشوب خلافات بين القيادات السياسية للنظام الجمهوري حول نهج السلطة، ثم تنامى إلى توترو تباينات في الموقف حول سياسات الحكم تجاه تطويق الحرب والتفاوض مع القوى الملكية، وحول الموقف من الوجود المصري، وفي خضم ذلك الصراع كانت القيادة المصرية حريصة على تماسك قوى الجمهورية، وفي نفس الوقت كانت تحرص أن يظل في موقع القرار في السلطة الجمهورية عناصر مؤيدة للوجود المصري، والذي عزز باتفاق تنسيق مشترك حماية لقواتها، والتي كانت تتمركز في عشرات المواقع وتشارك مع القوات العسكرية اليمنية وقوات الحرس الوطني في معارك المواجهة والدفاع عن الثورة والجمهورية.

إن تنامي الخلاف في الصف الجمهوري أدى إلى الانقسام الواضح حين انشقت من الجمهوريين مجموعة من السياسيين ومشائخ القبائل، وضباط وسياسيين تقليديين ولبوا دعوة السعودية وشاركوا في مؤتمر الطائف في بداية 1965م بالمملكة السعودية، إلى جانب ممثلي الملكيين والسعودية والقوى الثالثة والتي تمثلت بالقوى التي تدعو إلى تحويل النظام الجمهوري إلى "دولة إسلامية" وخرج ذلك المؤتمر بميثاق وقع عليه كل من حضر المؤتمر تضمن الدعوة إلى إقامة دولة اليمن تحت اسم "دولة اليمن الإسلامية" كبديل للنظام الجمهوري على أن يشكل مجلس دولة من الأطراف المعنية يتولى إدارة السلطة ويشرف على سحب القوات المصرية وإيقاف المعونات السعودية والاستفتاء على تقرير النظام الأساسي للحكم.

لقد أدت تلك الوضعية إلى إقدام القيادة المصرية إلى فتح قناة دبلوماسية مع المملكة السعودية وصلت معها إلى عقد اتفاق جدة – في نهاية أغسطس 1965م، لقد أرادت القيادة المصرية الوصول إلى تسوية تنهي الحرب.. لقد أدت اتفاقية جدة (3) إلى عقد مؤتمر حرض في نوفمبر 1965م بين ممثلي الجمهورية و الملكية وتوزع المنشقين بين الوفدين (4) رغم التجمهر الذي شهدته مدينة «حرض» والحوار الساخن وانتقال الرئيس السلال إلى مصر للبقاء في القاهرة لتسهيل انعقاد المؤتمر «5» إلا أن المؤتمر مُني بالفشل الذريع، بسبب تشدد الجانب الملكي ومطالبته بإلغاء النظام الجمهوري واستبداله بنظام آخر كنظام انتقالي.

بعد فشل مؤتمر حرض عاد الرئيس السلال إلى صنعاء وعاد المعارك أشد مما كانت عليه من قبل، الأمر الذي اضطر القيادة المصرية إلى تعزيز قواتها، مما مكن القوات اليمنية والمصرية إلى تحقيق انتصارات كاسحة، إلى جانب تصعيد ضرب الملكيين وتعقبهم حتى تحقق إعادتهم إلى أوكارهم في السعودية، اتخذ الرئيس السلال سياسة أكثر صرامة على المستوى الداخلي ضد دعاة التسوية وبدأت الأمور تتجه نحو الاستقرار.

وفي تلك الأثناء وقّتت الإمبريالية الغربية والصهيونية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل بشن حرب يونيو (حزيران) 1967م ضد مصر، وكانت لهزيمة مصر انتكاسة قاسية ليس لمصر فحسب، بل ولحركة التحرر العربية، لقد اتضح أن تصعيد الحرب في اليمن ما هو إلا جزء من التآمر كان هدفه استنزاف القوات المصرية في اليمن لإضعاف الجبهة المصرية الموجهة لإسرائيل.

لقد أدت هزيمة حزيران إلى الإخلال بتوازن القوى، ولم يجد انعقاد مؤتمر القمة العربية في الخرطوم لمساندة مصر، وأثناء ذلك المؤتمر توصل الرئيس جمال عبدالناصر والملك فيصل ملك السعودية إلى اتفاق سمي «باتفاق الخرطوم» لحل المشكلة اليمنية، تضمن ضمان انسحاب القوات المصرية من اليمن، وإيقاف المساعدات السعودية للملكيين وشكلت لجنة ثلاثية من وزراء خارجية العراق، والمغرب، والسودان، تتولى تنفيذ الاتفاق «بأن تمكن اليمنيين من التآلف والتحالف والتشاور مع أهل البلاد الحقيقيين وتعمل على تشكيل حكومة من الأطراف المعنية في اليمن وإجراء استفتاء، غير أن حكومة الرئيس عبدالله السلال أعلنت أنها غير ملزمة باتفاقية الخرطوم، لأنها ليس طرفاً فيها، وأن الاستفتاء تدخل في شؤون اليمن الداخلية وأن اليمن تتمسك باتفاق الدفاع المشترك والتنسيق مع مصر».

في أكتوبر 1967م كانت أوضاع الثورة في جنوب اليمن تتجه نحو تحقيق الانتصار النهائي، لقد اضطرت بريطانيا أن تعلن عن قرارها بجلاء قواتها عن الجنوب في 30 يناير 1967م بعد أن كانت ترى أنها ترغب بإجلاء قواتها عام 1968م، وكانت «12» إمارة ومنطقة قد وقعت تحت سيطرة الثورة بقيادة الجبهة القومية ابتداءً من أغسطس وحتى منتصف أكتوبر 1967م.

سعيد أحمد الجناحي

كان الرئيس عبدالله السلال يدرك ترابط الثورة وأن انتصار الثورة في الجنوب يحتاج إلى تعزيز الوحدة الوطنية في الشمال، مما سيمكن قوى الثورة من حسم الوضع نهائياً وتحقيق الانتصار النهائي، كما سيمكنها مجتمعة من الحفاظ على الاستقرار والدفاع عن السيادة بل وتحقيق وحدة الوطن، وكان الرئيس السلال يتابع الأوضاع في الجنوب باهتمام بل فقد أرسل برقيات تهنئ الثوار على انتصاراتهم في حضرموت بشقيها القعيطي والكثيري.

ومن ثم اتخذ الرئيس السلال نهجاً جديداً وسياسة جديدة للمصالحة الوطنية مع القوى السياسية وأجرى حواراً معها على أساس الوصول إلى برنامج مشترك وتشكيل حكومة جديدة غير أن تلك الجماعة كانت ترى أن الرئيس عبدالله السلال يقف عقبة أمام التسوية، وأعدت إلى انقلاب عسكري نفذته في 5 نوفمبر 1967م وأقصت الرئيس السلال من منصبه أثناء زيارة له في الخارج كان يقوم بها لعدد من البلدان - مصر والعراق - وموسكو - بهدف الحصول على دعم عسكري يسند الجمهورية.

ومن أهداف تلك الزيارة التي كان المشير السلال يرغب في تحقيقها إقناع الرئيس جمال عبدالناصر بأن يترك الجيش المصري جزءاً من أسلحته الثقيلة للقوات المسلحة اليمنية لتقوية قدراته قبل انسحابها في نهاية نوفمبر 1967م وهو الموعد الذي حددته القيادة المصرية للانسحاب النهائي، بينما ظل موقف المملكة السعودية يدعم الملكيين ولم يتغير بل إنه تضاعف، فقد ضاعفت من تقديمها لهم أسلحة ثقيلة وحديثة، كمدافع بعيدة المدى، ومدافع صاروخية، وأموال من الجنيهات الذهب لإغراء المشايخ والقبائل، إلى جانب الأسلحة الخفيفة بأنواعها واستجلبت لهم ضباطاً من المرتزقة الغربيين للتدريب ورسم الخطط، كان الهدف ضرب الحصار على العاصمة صنعاء والسيطرة عليها وإعلان إعادة الحكم الملكي الإمامي.

الاستجابة للمعطيات الثورية وتأسيس المقاومة الشعبية:

كانت الاستجابة لمعطيات إنقاذ الوطن هي القوى الثورية المدنية بقيادة المناضل عمر الجاوي ففي تلك الأثناء عاد الأستاذ عمر عبدالله الجاوي إلى أرض الوطن بعد أن أنهى دراسته الجامعية وتخرج من كلية الصحافة في موسكو حيث عمل مدرساً في المركز الحربي في تعز (6) ثم انتقل إلى صنعاء.

عرف الأستاذ الجاوي أثناء دراسته الثانوية في مصر قبل أن يستكمل دراسته في موسكو وينال الماجستير بمواقفه الوطنية "حيث استجاب للمعطيات الثورية التي كانت سائدة آنذاك أثناء دراسته في مصر فاتجه مباشرة في تكوين الحركة الطلابية اليمنية، في العاصمة المصرية، وأدرك منذ البداية أهمية وحدة هذه الحركة وإمكانية مساهمتها الفعلية في تعزيز المفاهيم الوحدوية، ووجد هذا الإسهام تجسيده العلني في تأسيس اتحاد الطلبة اليمنيين في مصر ورفع الشعار للنضال من أجل تحقيق جمهورية يمنية ديمقراطية موحدة" (7) كما انضم إلى المقاومة الشعبية في مصر أثناء العدوان الثلاثي عليها عام 1956م.

الذين عاشوا عقد الخمسينيات وبداية الستينيات يعلمون أن تلك الحقبة كانت تعج بروح النضال والتوثب للتحرر، وعمر الجاوي تكوّن وعيه الثوري في تلك الحقبة العظيمة، حين تصاعدت حركة النضال وكانت بداية الستينيات بداية قيام الثورة اليمنية، وهكذا انتمى الأستاذ عمر الجاوي إلى جبل الثورة التي آمن وأخلص لها، لكن انتصارها لم يمنعه من أن يكون يقظ الضمير" لقد عرف بين الأوساط السياسية والاجتماعية بأنه شخصية يختلف عن غيره من المثقفين في تعدد مزاياه، فهو ذو معارف عميقة الأبعاد مؤمن بأن الحرية تأبي الخنوع، كما يتميز بالصراحة المتناهية والاقتناع بما يعتقد شديد الاقتناع بما يعرف ويتمتع بروح التحدي وروح الحرية والإقدام.

تزامن تواجده في صنعاء بعد ذلك وتفاقم أوضاع متداخلة تهدد حاضر ومستقبل البلاد، كانت الأمور تسير أو تكاد تقود إلى مفترق طريقين لا ثالث لهما، الأول يلوح بالخطر الذي يهدد مصير النظام الجمهوري، وكان السبيل إلى عبوره يعني تثبيت النظام الجمهوري الأمر الذي يتطلب الصمود والتضحيات، لتأمين مصير الغالبية العظمى من أبناء شعب اليمن، والآخر يعتريه عبور قلة من الفلول المعادية للثورة، تريد إعادة النظام الملكي تحت مظلة – الدولة الإسلامية ، يلتفت حولها الآلاف من المرتزقة، تمتلك إمكانيات مادية هائلة وكل أنواع الأسلحة قدمت لها من المملكة السعودية، ودول الغرب الاستعماري بل إن عشرات من المرتزقة الأجانب يعملون في صفها كان التحدي يعني أما بقاء الجمهورية أو انهيارها، وكانت المؤامرات الرجعية، والمدعومة من قبل الاستعمارية ترى استباق التحولات الجارية في جنوب اليمن لصالح القوى الوطنية الثورية مستغلة الخلل الكبير الذي أحدثته حركة 5 نوفمبر 1967م فقد انقسم الجمهوريون بين قوى تدعو إلى التسوية وأخرى ترفض أية تسوية على حساب النظام الجمهوري.

أيا كانت الأسباب والدوافع.. في زمن بدأت فيه حشود الملكيين تتجه نحو صنعاء وتحتل المواقع التي تركتها القوات المصرية والتي كانت تترك المواقع وتنسحب إلى مدينة الحديدة تمهيداً للعودة إلى مصر.

لم تحدث حركة 5 نوفمبر نوعاً من الاختلال فحسب بل وحالة من التخبط وعدم وضوح الرؤية وتباين الآراء واختلافها.

لقد ساد الاعتقاد لدى حكام انقلاب 5 نوفمبر أن مجرد إقصائهم للرئيس المشير السلال ومؤيديه واعتقال العناصر المؤثرة المؤيدة لنهجه الرافض للتسوية من بينهم الناصريون والعناصر التي وقفت ضد الحركة، سوف يجعل السعودية والملكيين يرضون عنهم وسيكون ذلك مدخلاً للتسوية، ولترجمة هذا الاتجاه دعا بيان إعلان حركة 5 نوفمبر الانقلابية "إلى المصالحة السياسية" والحرص على بقاء الجمهورية، وتحسين العلاقة مع السعودية، وكان من الواضح أن أعضاء حزب البعث العربي الاشتراكي قد لعب دوراً في العملية الانقلابية والتي واجهت استياءً عارما ومظاهرات رافضة أجبرت القاضي عبدالرحمن الارياني رئيس المجلس الجمهوري إلى أن يعلن قبول حكومته لمؤتمر المصالحة الوطنية على أن يعقد في صنعاء وليس في السودان، ثم عاد ليعلن عن رفضه للجنة الثلاثية.

إن مثل هذا التراجع وأسبابه فسره الأستاذ عمر الجاوي في تشخيصه لجماعة نوفمبر بأنهم مجموعة غير متجانسة في توجهها السياسي والإيديولوجي" وحتى علاقتها العربية والأجنبية، وأن القاسم المشترك لجميع الفئات والعناصر ما سمي آنذاك بالذاتية الشخصية كانت ترى حينها إخراج القوات المصرية وتأكيد المصالحة مع السعودية حسب اتجاه كل طرف من أطراف الحكم، ولهذا السبب لم تستطع الرجعية السعودية أن تنفذ مخططها بكامله بعد 5 نوفمبر، الأمر الذي دفع إلى بدء الحصار وتنفيذ مخططها بقوة طلقات مدافع الهون، والقنابل الصاروخية، ولقد وجد الكثير من أطراف الحكم أنفسهم أمام حقيقة مذهلة.. خاصة أولئك الذين خاضوا الصراع من خارج اليمن (8).

"ولأن الفئة الحاكمة لما بعد 5 نوفمبر لم تستطع استيعاب اتجاه الرأي العام للقوى اليمنية الجديدة ومعرفة الموقف الشعبي الحقيقي" ورد الفعل ضد اتفاقية الخرطوم في 3 أكتوبر 1967م وما تمخض عنه من حركة سريعة لما سمي الوقوف ضد خطر حقيقي مؤكد، لقد اتجهت المظاهرات في صنعاء نحو رفض سريع وحاسم لشعار "الدولة الإسلامية" وتشكيل ما سمي في الخرطوم بحكومة ذات قاعدة عريضة من الأطراف المعنية"، وكانت أحداث 3 أكتوبر الشهيرة وطرد اللجنة الثلاثية من صنعاء فاتحة خير أو بمعنى أدق انتصاراً لشعب اليمن بعد هزيمة حزيران عام 1967م.

"لذلك لم تدرك -ونقصد حكام 5 نوفمبر- أن المدى الثوري في اليمن على أشده إثر هزيمة مصر في حزيران لأسباب تتعلق بطبيعة الصراع في اليمن من ناحية ولأن اليمن الذي لم يستطع أن يسهم في المعركة بطريقة مباشرة استطاع أن يسهم بطريقة غير مباشرة بأسلوب تحرير الأرض اليمنية من القوات البريطانية ومقاومة الرجعية والإمبريالية العالمية بصمود صنعاء الجمهوري، ولم يكن احتلال كريتر في عدن في يونيو 1967م من قبل قوات الفدائيين وطرد اللجنة الثلاثية في 3 أكتوبر في صنعاء إلا خطوة نحو طريق تصاعد نضال الجماهير اليمنية (9).

إنه الدليل بأن الحكام لم يتعودوا على الثقة بقدر الجماهير الشعبية خاصة في اللحظات الحاسمة، في تاريخ الشعوب كان المتذبذبون في السلطة وخارجها قد أعمتهم الدعاية التي تقول إن الملكية لم تهزم من قبل الجمهوريين المدعمين بسبعين ألف من القوات المصرية المدججة بأحدث الأسلحة فما بالكم بآلاف من جماهير العاصمة وبفتات أعيتها المعارك ومن بقايا سلاح القوات المسلحة (10).

كانت المثقف الجاوي يدرك أن الذي لم يعرفه الحكام والقوى الرجعية أن مكسباً عظيماً من مكاسب شعب اليمن هو تأثير دور الجماهير المنظمة والقوى الجديدة التي سلحتها الثورة بالوعي والإرادة والتجربة القتالية ومن ثم تجسد إيمان المناضل عمر الجاوي بقدرة الجماهير لقد جعل من نفسه داعية ينادي برص صفوف كل المواطنين كان اتجاهاتهم وخلافاتهم في إطار جبهة وطنية عريضة لمواجهة خطر الحصار وسعي مع الأستاذ محمد عبده نعمان (11). والعديد من العناصر الوطنية والقومية أمثال مالك الإرياني وسيف أحمد حيدر وعلي الشنواح وعبده سلام وعلي محمد زيد ومحمد البشاري وأحمد السلامي من أجل توحيد صفوف القوى الوطنية المؤيدة لحركة 5 نوفمبر أو المعارضة لها لصد الخطر القادم والذي يهدد الجميع.

ولما وجد المناضل الجاوي صعوبة تشكيل جبهة ذات قاعدة واسعة بسبب التباينات والتناقضات السائدة بين صفوف الحزبيين ولأنه كان يرى أن تحالف القوى الجديدة هو مفتاح الصمود والنصر، تبلورت لديه فكرة تشكيل المقاومة الشعبية وهي الفكرة التي وجدت تجاوبا لدى الكثير.

استمد عمر الجاوي فكرة المقاومة من تجارب شعوب مرت بنفس المحنة التي كانت تمر بها اليمن في تلك الفترة أثناء دراسته في موسكو حيث أطلع على تجربة الشعوب السوفيتية في حروبهم لمواجهة غزو الألمان لبلادهم والمقاومة الشعبية التي كوّنت أبطالا مقاومين من أبناء الشعب الروسي العاديين، وظل حصار الألمان للينينجراد لأكثر من سنتين استبسل خلالها سكان المدينة وصمدوا للدفاع عنها حتى حققوا النصر بدحرهم المحاصرين واستحقت تلك المدينة لقب المدينة البطلة.

كما استمد من تاريخ صنعاء صمودها طوال التاريخ حين كانت تواجه الغزو والحصار ورأى أن أحداث 1948م ليست إلا ختاماً لمأساة صنعاء يستحيل تكرارها.

ولما كان يرى أن طابع البناء في صنعاء لم يكن مجرد طابع إبداعي للذوق اليمني بل إن بناء كل بيت قديم كان يحتوي على سياج من اللبن داخله بئر لنزع المياه ويضم غرفاً من الدور الأرضي للحيوانات وأخرى لخزن الحبوب والعلف وهو ما يؤهل سكان صنعاء للصمود.

وتبرز أمام الجاوي واحد من عوامل تشكيل المقاومة الشعبية أن آلاف الشباب الذين تمرسوا على القتال منذ قيام الثورة حين انضموا إلى الحرس الوطني وخاضوا معارك الدفاع عن الثورة منهم من استشه